المحاضرة:8 « الأمالي » لأبي علي القالي(288هـ - 356هـ)

مدخل:

ظهر في التراث العربي ما يُعرف بالأمالي، وهي جمع إملاء . فقدْ كان العلماء يجلسون إلى تلاميذهم ويتحدّثون إليهم بما تجود به قريحتهم اعتمادا على الذاكرة؛ في الشعر والنثر والتفسير والحديث واللغة والنحو، فيكتب عنهم التلاميذ. وتجمع هذه الأمالي لتصبح في النهاية كتابا. وقد تسمى بالمجالس، مثل مجالس ثعلب(ت291هـ)[1].ولعلّ أوّل كتاب أطلق عليه مؤلّفه هذه التّسمية هو (الأمالي في الفقه) لأبي يوسف (ت172هـ)[2]. فقد عرفت تسمية الأمالي على يد رجال الفقه والحديث، ثم شاعت عند اللغويين. يقول السيوطي:" كما أنّ الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء،وقدْ أمْلى حفّاظ اللغة من المتقدّمين الكثير، فأملى ثعلب مجالس عديدة في مجلّد ضخم، وأملى ابنْ دريد مجالس كثيرة رأيت منْها مجلّدا، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري وولده أبو بكر ما لا يُحصى، وأملى أبو علي القالي خمسة مجلّدات، وغيرُهم"[3].

وعن طريقة الإملاء ومحتوى ما يُملى ونهاية عهْد الأمالي، يقول السيوطي:" وطريقتهم في الإملاء كطريقة المحدّثين سواء، يكتب المستملي أول القائمة:(مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا) ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بإسناده كلاما عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى التفسير ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره... وآخر من عَلِمتُه أمْلى عَلى طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي، له أمالٍ كثيرة في مجلد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، ولم أقف على أمال لأحدٍ بعده"[4].ويحدّث السيوطي عن طريقتهم في الإملاء، فيقول:" وطريقتهم في الإملاء كطريقة المحّدثين سواءٌ، يكتب

---

[1] . ينظر: عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت،1976، ص215.

[2] . ينظر: حمودي عبد المشهداني،الدراسات اللغوية خلال القرن4 الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ،2005، ص30.

[3] . السيوطي،المزهر في علوم اللغة ، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2،1998/268، 269.

[4] . السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، 2 / 269 .

المستملي أوّل القائمة (مجلس إملاء شيخنا فلان بجامع كذا بتاريخ كذا) ويكتب التاريخ، ثم يورد المملي بإسناده كلاما عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى التفسير ثم يفسّره، ويورد من أشعار العرب وغيرهم بأسانيده، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشيا، وآخر من علِمْته أملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي له أمال كثيرة في مجلّد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (ت339هـ) ولم أقف على أمال بعده"[1].

أما أشهرها فأمالي أبي علي القالي موضوع محاضرتنا.

أوّلا: التعريف بالقالي:

هو إسماعيل بن القاسم بن عَيْذون بن هارون القاليُّ البغدادي. وُلِد بمنازُ جِرْدَ من ديار بَكرٍ سنة 280هـ. رحل إلى ببغداد للتحصيل ، فسمع الحديثَ من أبي القاسم عبد الله البغوي ، وقرأ النحو واللغة والأدب والأخبارَ على ابن دُرَيد، وابن الأنباري، وابن السرّاج ،وابن شُقَير، والزجاج ، وأبي الحسن علي الأخفش، وابن أبي الأزهر، وابن دَرَسْتَوَيْهِ، ونفْطويه، وابن قتيبة، وغيرهم. وهم الذين تكررت روايته عنهم فيما يمليه. وقرأ القرآن على أبي بكر أحمد بن موسى ، وأخذ كتابه في القراءات السبع[2]. رحل إلى الأندلس سنة 330هـ بعد دعوة الخليفة عبد الرحمن الناصر وترغيبه. وأقبل عليه علماء الأندلس وأدباؤها للاستفادة من محاضراته في اللغة والأدب التي كان يمليها من حفظه في أيام الأخمِسة بقرطبة في المسجد وأثنى عليه الشعراء[3].

من تلاميذه أبو بكر الزبيدي(ت379هـ) وأبو حيان النحوي، وابن الصّناع ومحمد بن عاصم المعروف بالعاصي (ت382هـ) وغيرهم. أما شيوخه فمنهم أبو يعلى أحمد بن المثنى (307هـ)، والزجاج تلميذ المبرد(311هـ)، والأخفش الصغير(315هـ)، وابن السراج (ت316هـ)، وابن قتيبة (ت322هـ)، ونفطويه (ت323هـ)، وابن درستويه (ت347هـ) وغيرهم.انقطع القالي إلى العلم وعكف على التأليف بحثٌ من تلميذه الخليفة الحَكم

---

[1] . المزهر ، 2 / 214 .

[2] . أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل ، ط2، دار المعارف، ص187 .

[3] . ينظر: أبو علي القالي ، كتاب الأمالي ، الهيئة المصرية العامة ، 1975 ، 1 / 3 .

وتنشيطٍ بالعطاء وإفراطٍ في إكرامه. فجاءت مؤلفاته كثيرة ومتنوّعة فاق بها سابقيه وأعْجزَ لاحقيه .

كان القالي إماما في اللغة والأدب، ذا اطلاع واسع في العلم والرواية. أجمع المؤرخون على أنه أحفظَ أهلِ زمانه للغة، وأرواهم للشعر الجاهلي، وأحفظَهم له،وأعلمَهم بعلل النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدقيقًا فيه. وله أوضاعٌ كثيرةٌ أملاها عن ظهر قلب[1]. توفي سنة ست وخمسين وثلاثمئة (356هـ). من مؤلفاته:الممدود والمقصور، الإبل ونتاجها وما تصرف منها ومعها، حُلَى الإنسان والخيل وشِياتها، فَعَلْتُ وأفْعَلْتُ، مقاتل الفرسان، تفسير السبع الطوال (المعلقات)، البارع في اللغة[2] وغيرها.

ثانيا: التعريف بالكتاب:

1 ـ عنوانه:

سمّي الأمالي، لأنّ الكتاب أملاه . كما سبق . أبو علي على تلاميذه في قرطبة. ويعرف أيضا بالنَّوادرِ. ولعلّ سبب ذلك ما تضمّنه من نوادر. يقول أبو محمد بن حزم:" كتاب نوادر أبي علي مبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد"[3].

2 ـ دوافع تأليفه:

ذكر القالي في مقدمته الظرفَ الذي أملى فيه كتابه . فذكر أنه بعد أنْ لزم العلماءَ وجمع أسرار العلم وتمكّن منه، ووجدَ منْ يستحقّ علمَه، أملى هذا الكتاب في المسجد الجامع بقرطبة، يوم الخميس من كلّ أسبوع. يقول في مقدمته:" فإنى لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت أنّ طلبه أفضل تجارة؛ فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية. ثم أعملت نفسي في جمْعه، وشغلت ذهني بحفظه؛ حتى حويت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويت جليله... فأمللت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة..."[4].

---

[1] . طبقات النحويين واللغويين ، ص185 .

[2] . طبقات النحويين واللغويين ، ص186 .

[3] . ينظر: أبو علي القالي ، كتاب الأمالي ، الهيئة المصرية العامة ، 1975 ، 1 / 12 .

[4] . الأمالي ، الهيئة المصرية العامة ، 1975، 1 / 21 ، 22 ، 24 .

3 - مقدّمته:

استهلّ كتابه بمقدّمة ذكر فيها دواعي تأليفه، وتحدّث عن طلبه للعلم وتحصيله إياه، وتمكنّه منه ، لكنّه كتمه عمّن لا يعرف مقداره، وجعل غرضَه أنْ يودعه مَنْ يستحقّه، فلم يجدْه إلّا بعد مدّة طويلة. فسافر راكبا المخاطرَ إلى الذي يستحقّه في الأندلس، وهو أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد. ومن ثمّ فقد استغلّ الفرصة لمدح أمير المؤمنين مدحا طويلا. وأخيرا ذكر المكان الذي أملاه فيه والزمان،وما تضمّنه كتابُه، وما أوْدعَه فيه، وأنّه لم يسبقْه إلى مثله أحد.

4 - مضمونه:

يحتوي الكتاب كغيره من كتبِ عصرِه على روايات أدبية متنوعة ، خليط من الأشعار والأخبار والأمثال والخطب والأحاديث النبوية والآيات القرآنية، يتخلّلها شيء من تفسير القرآن والحديث، ويغلب عليه طابع اللغة من خلال شرح النصوص المختارة. ويظهر ذلك في قوله:" وأودعته فنونا من الأخبار، وضروبا من الأشعار، وأنواعا من الأمثال ، وغرائب من اللغات؛ على أنّي لم أذكر فيه بابا من اللغة إلا أشبعتُه، ولا ضربا من الشعر إلا اخترته، ولا فنّا من الخبر إلا انتخلته، ولا نوعا من المعاني والمُثل إلا استجدتُه، ثم لمْ أُخْلِهِ من غريب القرآن وحديث الرسول . صلى الله عليه وسلم . على أنني أوْرِدْت فيه من الإبدال ما لم يوردْه أحد، وفسّرت فيه من الإتباع ما لم يفسّرْه بشر"[1]. وهو بهذا يرى أنه لم يترك في الكتاب فنّا إلا ألمّ به ، ولا شيئا إلّا قاله .

وفي الكتاب ظواهر لغويّة مختلفة مثل المشترك اللفظي، والأضداد، والترادف. كما كانت له عناية بالفروق اللغوية ... كما كان له اهتمام باللغات وما تكلّمت به العرب، إضافة إلى الألفاظ الأعجمية. ما يدلّ على تمكّنه من العربية ومعرفة أسرارها، واستعمالات الألفاظ فيها. لذلك فهو ينفع منْ يريد التعمّق في علم اللغة وتزيين عقله بالآداب العربيّة ، والأخبار المنتخبة والأشعار المختارة والأمثال والحكم .

---

[1] . الأمالي ، 1 / 24 .

5 ـ منهجه:

الكتاب يجمع بين النصوص الأدبية واللغة ، ومن ثم يختار القالي من النصوص المختلفة ما تتطلب ألفاظها شروحا لغوية واسعة، لذلك فهو أساسّ في اللغة. ولا يعتمد في تقديم هذه النصوص على تنسيق منظّم أو ترتيب معيّن للموضوعات. وهذه الشروح اللغوية لا تسير أيضا على منهج واضح ومحدّد.فهو يهتم بالشواهد فلا يترك الفكرة أو الموضوع إلا وأعطاهما حقّهما من الشواهد المختلفة،ويحاول تقريب المعنى من خلال الشرح والتوضيح.وأحيانا يستطرد؛ قد يطول الخبر عنده. ويستشهد بالشعر دون ذكر قائله، كأن يقول:" قال الراجز، الشاعر، أنشدني بعض أصحابنا". كما كان يكثر من الاستشهاد ببعض الأسماء دون غيرها أمثال: زهير، الحطيئة ، جميل. فمنهجه . عموما . لا يخرج عن منهج أمثاله من كتب وعلماء العصور القديمة، كالمبرد والجاحظ وغيرهم.

6 ـ قيمته:

الأمالي من أمّهات كتب الأدب واللغة ، اعترف به العلماء؛ فهو أحد الكتب الأربعة التي نوّه بها ابن خلدون وذكر أنّه لا غنى عنها للدّارس يقول: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"[1]. يتميّز الكتاب بغزارة مادته اللغويّة، فهو يعدّ أساسا في اللغة؛ فالقالي لا يأتي بالنص من شعر أو مثل أو خطبة إلا بقصد تبيين معانيه، وشرح ما فيه من ألفاظ غريبة ، والإشارة إلى اشتقاقاتها وأصولها... وفيه الكثير من الأشعار.

7 ـ مآخذه:

- خلوّ مقدمة الكتاب من الحديث عن منْهجه، وطول مدْح الخليفة فيها.
- عدم وجود منهجيّة واضحة يسير عليها في كلّ الكتاب، وأيضا عدم وجود تنسيق منظّم للموضوعات .
- التكرار في الموضوع أو اللفظة أو النّص في أكثر من موضع .

---

[1] . ابن خلدون ، المقدمة ، 553.